الشخصانية الواقعية عند محمد عزيز الحبابي

م. م. كفاح علي عثمان

جامعة بغداد/ كلية العلوم للبنات – قسم الفلسفة

الملخص:

يشغل محمد عزيز الحبابي مكانة مهمة في الفكر العربي المعاصر ، بل و حتى في الفكر الغربي ، لما له من مشاركات باللغات الاوربية الاخرى و خصوصا الفرنسية تنوعت اهتمامات هذا المفكر من شعر وادب ولغة وفلسفة وسياسة. اقتصر بحثي هذا على الشخصانية الواقعية عنده؛ لأنها تمثل نقطة انطلاق افكاره الفلسفية المهمة فقد تضمنت الشخصانية اغلب المفاهيم و الدلالات و المصطلحات التي عمل عليها الحبابي. تناولت في المبحث الاول الشخصانية ليست ابتكار جديد بدء مع فيلسوفنا فهي كمذهب او كمصطلح ومذهب واضح ودقيق بدا مع الفيلسوف الفرنسي(رونوفيه) و من ثم (مونييه ولاكرو). أما المبحث الثاني؛ فقد تضمن اهم المفاهيم لفهم الشخصانية عند الحبابي وهي الكائن و الشخص و الانسان اضافة الى عرض الشخصانية الواقعية. من خلال عرض تحليلات و انتقادات الحبابي لأطراف هذه الفلسفة.

نجد مزيج فلسفي من اتجاهات فلسفية تهتم بالإنسان مثل الوجودية – الشخصانية – اليرغسونية – الماركسية اثرت في فلسفة الحبابي فتراه هنا و هناك في كتبه يحاور الفلاسفة و ذلك ليتجاوز المفاهيم التي قالوا بها لبناء مفهوم اعمق و اكمل. ومن اهم هذه الفلسفات هي فلسفة مونييه الشخصانية فهناك من يضع الحبابي في خانة المنتج و النقل لمفاهيم هذه الفلسفة الا ان المتأمل لفلسفة الحبابي يعترف له بالابتكار الفكري الجديد الفلسفي ، فلسفته عكست هموم المفكر التواق لا الا الحرية بل الى التحرر و لا الى الكينونة بل الى التشخصن اذًا؛ الشخصانية هي لحظة من لحظات بناء وتأسيس فلسفة الحبابي و ذلك نحو بناء افكار و فلسفات جديدة تهم الانسان الشرقي وهمومه.

المبحث الاول/ محمد عزيز الحبابي وتطوره الفكري:

الحبابي حياته ومؤلفاته:

أ- حياته :-

الحبابي فيلسوف وروائي وشاعر مغربي كتب باللغتين العربية والفرنسية ، ولد في ٢٥ ديسمبر عام ١٩٢٢ بمدينة فاس وتوفي يوم ٢٣ اغسطس عام ١٩٩٣ بالرباط .

يعد الحبابي مؤسسا لمذهب الشخصانية الاسلامية ، ترجمت بعض كتبه الى اكثر من ٣٠ لغة . درس الحبابي في السوربون في باريس وحصل فيها على الدكتوراه في الفلسفة . ثم اصبح استاذا للفلسفة في كلية الاداب بجامعة محمد الخامس في الرباط فعميدا لها .[١]

الحبابي هو ذلك الشاب الذي نشط في بعض ميادين النضال الوطني ضد الاستعمار الفرنسي في فترة الاربعينات حيث انتمى الى فصيل داخل الحركة الوطنية المغربية ، أسس سنة ١٩٣٦ تحت اسم ((الحركة القومية)) وكان يضم الصفوة المثقفة في المجتمع المغربي آنذاك.[٢] وبعد مدة طويلة من المعاناة بين النضال والسجن والالم اثر ورم في دماغه ، غادر الحبابي بلاده سنة ١٩٤٦ الى باريس طالبا للعلم .[٣]

في العاصمة الفرنسية عاش الطالب المغربي معاناة (الاستلاب) وهي في الواقع معاناة مركبة ارهقته كانسان وكمناضل، بعد ان فتحت عينيه على الحقيقة الصادقة بانه امام ثقافة مغايرة لثقافته (العربية القومية) بل ومحتقرة لها ولماضيها، بسبب نزعتها الاستعلائية ، ويقول الحبابي في هذا الصدد: ((**بدون انتماء فعلي وبكيفية تامة الى ثقافتي الاصلية ، أو ألى الثقافة الغربية وجدتني في نفس الوقت بدون خشية مكتملة**)) . من هنا جاء الاحساس بتهدم داخلي للشخصية عن طريق الشعور بالفراغ.[١]

هذه الصدمات والتجارب فجرت وعيه وهيأته للتفلسف ، ولكي يخطو تلك الخطوات الحاسمة من الجور والمحنة والالم الى الفلسفة بعد ان وجد في فرنسا (الاربعينات) توجها كبيرا نحو الانسان والأمة على صعيد الفلسفات الوجودية بصيغها واشكالها المتعددة ، وكانت الموضوعات الفلسفية الرائجة هي:- الوجود ، الوعي ، الحياة ، المعنى ، الحرية ، الالتزام، النضال، السياسة الى جانب موضوعات القلق ، العبث ، الاستغلال، واللامعقول.[٢]

من هذه الفلسفات والمفاهيم ، مع حصيلة ثقافته المزدوجة ومزجها مع ركام تجاربه ومعاناته ليخلق من ذلك كله ، ما نعرفه باسم الشخصانية الواقعية ، وفي هذا السياق يقول الحبابي ((**ان الصدمات التي عانيتها ، اضفت صيغة خاصة على الشخصياتية الواقعية**)) [٣] بل وعلى فكر الحبابي الفلسفي بشكل عام .وهذا ما سنوضحه بشي من التفصيل بالمواضيع القادمة .

ب- مؤلفاته:

امتاز الانتاج الفكري عند الحبابي بالشمولية والتنوع فهو الى جانب تخصصه الدقيق ((الفلسفة)) نجده يؤلف في اللغة والادب والقصة القصيرة والشعر والتراث وهذا ما ترك عليه اصداراته. من اهم مؤلفاته الفلسفية:

١- من الكائن الى الشخص .
٢- مصطلحات فلسفية (فرنسية – عربية)

٣- قاموس فلسفي للمصطلحات
٤- الشخصيات الاسلامية
٥- ابن خلدون
٦- من المنغلق الى المنفتح
٧- من الحريات الى التحرر
٨- مستقبل شبيبتنا المغربية فب افاق الثمانينات
٩- ابحاث فلسفية عن الشخصياتية الواقعية
١٠- الانسان والاعمال
١١- من الشخصياتية الى الغدية
١٢- عالم الغد
١٣- ازمة القيم
١٤- مفاهيم مهيمنة في الفكر العربي

اهم التيارات المؤثرة في الموقف الفلسفي للحبابيّ:

ما يهمنا الآن هو الصدى الذي تركه الواقع الاوربي في الفلسفات التي نشأت وتطورت في زمن ما بعد الحربين العالميتين . فقد قامت فلسفات كان لديها بقوة اهتمام بالإنسان ووجوده ومصيره وحرياته وحقوقه ومن اهم هذه الفلسفات الفلسفة الوجودية عند سارتر . فقد كان هناك حضور للفلسفة الوجودية عند سارتر في فلسفة الحبابي فقد كان يذكره في تعريفه للشخص واثناء حديثه عن الحرية والمسؤولية.[١]

كان الحبابي قريباً أيضاً من الفلسفة البرغسونية التي خصصت لها جزءا من كتابه عن الحريات والتحرر لنقد مفهومها عن الحرية و تكوين مفهوم خاص به ، فالحرية عند برغسون كانت بمثابة الطرف الاخر الذي حاوره الحبابي ليطور مفهوم الحرية ، اذن علاقة الحبابي بالفلاسفة الاخرين اي تاثره بهم كان ليس على اساس نسخ مفاهيمهم وافكارهم وانما كان قائما على اساس الحوار مع هذه الفلسفات لتجاوزها الى بناء مفاهيم اعمق واكمل [٢].

إنَّ اختيار الحبابي للشخصانية ، جعلته قريبا من بعض الفلسفات دون الاخرى ، وهكذا، فان اقرب الفلاسفة اليه هو الشخصاتي الفرنسي ايما نوئيل مونييه، ولكن هذا الاقتراب لا يسمح لنا بربط فلسفة الحبابي الشخصانية مع شخصانية مونييه ، ربطا آلياً، واعتباره استمرارا وامتدادا لها فمع ان الشخصانية الواقعية – لدى الحبابي – رددت احيانا افكارا شخصانية جاهزة لمونييه، فان

ذلك لا يعني انه ينقلها حرفيا ويحافظ على دلالاتها الاصلية. إنّه لا ينخرط في افق صاحبها الاول لان الجو الذي رددها فيه كان مغايرا للجو الذي نشأت فيه كما انها قرئت من طرفه انطلاقا من اهتمامات ومشاغل خاصة ، فعندما كان يتناول الشخصانية كان يصنع حوارا ليتجاوز فيه ما جاءت به ويواصل هذا الحوار لفيلسوف اخر ليتجاوز الاخطاء في كل مرة هادفا الوصول الى ما يرمي اليه من بناء جديد ، بناء فيلسوف عاش تجربة الاستعمار كما عانى من الشعور بالدونية والنقص الذي تنميه تلك التجربة سواء داخل الوطن او خارجه .[٣]

الشخصانية عند مونييه [١]:

يقول مونييه ((**ان كلمة الشخصانية حديثة الاستعمال ، استعمالها (رونوفيه) سنة ١٩٠٣ ليطلقها على فلسفته ومنذ ذلك الحين اصبحت عديمة الاستعمال (.....)) ، ثم ما لبثت ان ظهرت في فرنسا من جديد حوالي سنة ١٩٣٠ لتدل في جو مختلف كل الاختلاف على الابحاث التي قامت بها بعض الفئات الغربية منها(مجلة NOUVEAU – ORGER) التي تدور حول الازمة السياسية والروحية التي انفجرت في اوروبا في ذلك الحين . ثم يضيف مونييه ان معجم لالاند الفلسفي يمنحها حق المواطن في طبعته الخامسة الصادرة سنة ١٩٤٧ . اما معجم لاروس فيتخذ من هذه الكلمة مرادفا (اللاركزازية)) مناقضا بذلك كل استعمال استعملت به ، ومتبعا كما هو ملاحظ ، اتجاها قلقا ومتشابك وهذا الاتجاه ذو استلهام يبحث عن ذاته ويجرب مسالكه . ومع ذلك انما يدعى ((شخصانية)) اليوم ليست شيئا اقل من ان يكون جديدا. ان عالم الشخص هو عالم الانسان ومن غرائب الامور اننا انتظرنا القرن العشرين في سبيل اكتشافه ، وان كان ذلك تحت اسماء اخرى ، اذ ان الشخصانية الحاضرة ذات صلة بتقاليد قديمة [٢] يقول الحبابي ((تعرف الشخصانية ، حاليا ، بفرنسا ، انبعاثا جذابا ينفخ فيها شبابا ، وحياة وقوة المجادلة بفضل حركة الفكر سنحلل هذه الحركة الشخصانية عند ابرز ممثليها ، اي ((ايما نوييل مونيي))** [٣]

ويفسر الحبابي الموفق الذي اتخذه مونييه في شخصانيته الواقعية بقوله ((**كانت المذاهب الشخصانية المتقدمة ، تقاوم لتحرير الشخص من سيطرة الموضوع ، دون سيطرة علم ال ((انا)) التجريبي كما فعل ((رونوفية)) او سيطرة الوظائف الحيوانية (نظرية برانشفيك) اما مع (مونييه) فقد اصبحت الشخصانية تعتمد على ارادة تمتد الى ميدان النشاط ، لا عن طريق الافعال الفلسفية فحسب ولكن عن طريق انضواءات دينية وسياسية)) .** [١]

الشخصانية عند مونييه ليست نظاما تجريديا ، انها فلسفة لا موقف فقط ، انها فلسفة لا مذهب ، ولكنها لا تخرج على التنظيم؛ إذ إنه لا بُدَّ للأفكار من نظام؛ إذ إن المفاهيم والمنطق وخطابات التوحيد ليست ذا نفع فقط ، في سبيل تجديد التفكير ونشره ، وذلك التفكير الذي ينحل بدونها الى حدوس كثيفة ومنعزلة ، بل إنّها تؤدي الى التنقيب في اعماق هذه الحدوس، أنها ادوات اكتشاف وادوات عرض في وقت واحد. إنّ الشخصانية فلسفة لا موقف ، وذلك؛ لأنها تحدد بعض البنى العقلية)) .[٢]

كما وصف (لاكرو) الشخصانية بانها فلسفة (التواتر المتزن) حيث يقوم : – اننا اذا اعتبرنا الكائن البشري من ناحية الوصف السيكولوجي راينا ان الشخص ليس في حالة الانكماش الفرداي ولا من الانبساط المعشري ، ولكن الشخص في حالة توتر متزنة بين هاتين الحركتين اي بين (الفرد والمعشر) ، واذا فهمنا الشخصانية على هذا الشكل ظهرت لنا ، لا كنظرية ميتافيزيقة محضة ، بل كبحث عن معالجة تستطيع ان تبرز للعالم الانساني من بين عوالم الكون على ان يتميز الانسان عن العالم. [٣]

هكذا فقد تبنى مونييه وحتى (لاكرو) الفكرة العلمية القائلة بان الفلسفة يجب ان تقوم بتغيير العالم وليس تفسيره . فالفلسفة حتى الان لم تقوم الا بتأويل العالم ، في حين ينبغي عليها تغيير العالم فكانت هذه احدى الخصائص الاساسية لشخصانية (مونية) و (لاكرو). إن هذا الهيكل للتفكير الشخصاني يستند على محور النشاط فكانت الاحداث السياسية المجتمعية الحالية من صميم اهتمامات هذا التفكير الذي ترك تاثيره على الحبابي مفكرا وانسانا . [٤]

المبحث الثاني/ الشخصانية الواقعية عند الحبابيّ:

ما الانسان؟ وكيف يصبح الكائن البشري انساناً حقاً ؟ اي طريق يسلك ؟ او يجب ان يسلكه ، ليكتسب هويته الانسانية ؟

تحاول الشخصانية الواقعية ، شخصانية الحبابي ، ان تصف لنا هذا الطريق الذي يبدا من الكائن الذي يتعالى على نفسه وينفي ذاته ليتحول الى شخص ثم الى انسان . لفهم هذا الطريق لا بد لنا من تناول المفاهيم الاتية واحدة تلو الاخرى عند الحبابيّن وهي : مفهوم الكائن ، ثم الشخص (التشخص)، وبعد ذلك مفهوم الانسان.

مفهوم الكائن:

يقــول الحبــابيّ: ((**ان الكـــائن الانســـاني معطـــى خـــام ، يظهـــر ويصـــير ، كلمـــا ازداد اتجاهـــه نحـــو التشـــخص ، ونحـــو الانـــدماج فـــي المجتمـــع مـــن الاشـــخاص فهـــو بـــاق (كائنـــا)) خامـــا مـــا لـــم يظهـــر للاخـــرين ، وبـــذلك نتوصـــل الـــى معنـــى الارتبـــاط وهو الذي يجعلنا في طريق التشخصن**)) .[١]

إنّ الاحداث والاعمال مستمرة ، اتصال الكائن بالحياة الجماعية اتصال طبيعي مباشرة لا تقطع فيه ، يجد الكائن نفسه مدفوعا دائما من تحول لأخر كما هو شان في لعبة كرة الطائرة، حيث تقضي قواعد اللعب ببقاء الكرة في حركة مستمرة في الفضاء ، حتى اذا مست الارض او تجاوزت حدود الملعب ، توقف اللعب ، فضياع التوازن في اللعب ، يقابل انتفاء عملية التشخيص، وذلك حين يعتري الكائن البشري انفصال عن حركة الحياة الجماعية التي يتجه بها نحو الشخص، فعليه أن يعود الى تركيز انتباهه على المواقف الجماعية ويندمج ، من جديد في سلسلة لا تنتهي من التحولات .[١]

وإنَّ كلَّ عودة الى الكائن المحض هي انقذاف الى خارج الميدان الذي تدور فيه الحياة الجماعية انها امراض تعتري الشخصية اذن لا بُدَّ من العودة الى الاندماج والتكيف مع الوسط (البيئة)[٢] فالشخصية السليمة هي الشخصية المندمجة في الحياة الجماعية [٣]، قد نوافق (لويس لافيل) في انه لا يمكن ان يحدث الانتقال من العدم الى الوجود بل في وسعنا تسمية الكائن نقطة البداية – كما ذكرنا هو المعنى الخام – انه الشي الذي ياتي الى العالم فيجده الاخرون هنالك.[٤] (فالآخرين) هم الذين يضعون للكائن سجل هويته فهو طفل لقيط ، او ابن تاجر كبير ، او ابن بواب ... وينسب الى جنسيته، وتاريخ قومي ودين ... فالطفل هنا يصنف ويرتب ، ويعين له مكان من سجل المجتمع. هذه المراحل والتحولات والتطورات التي تطرا على الكائن يسميها الحبابي انبثاق الشعور ونموه .[٥]

يقول الحبابيّ: ((لو في الامكان تصور شعور محض)) الشعور ان يعتبر الاخرين والاشياء موجودين ، او غير موجودين ، فالطفل بالنسبة للشعور ، كقطعة قماش قبل ان تدخل الخياط)) [٦] يتخذ الحبابي موقفا ضديا مع تصور هنري برغسون للشعور ، لان برغسون يعتبر الشعور محض بينما الشعور عند الحبابي ينمو من الجانب الذي تتحد فيه استعدادات للكائن البشري ، حيث تنمحي امكانيات الكائن المجرد العام ، وهكذا يتكون الشعور ، ثم ينفتح ، ثم يمتلي ، حيث يندمج في الموجودات ، وبعبارة اخرى يصبح شيئا اكثر من ذاته ، ويعتبر

ادق ، حيث يصير شيء غير ذاته و، وفي الوقت نفسه يتخذ موقفا من بين الاخرين ، فهو لا يظهر للغير فقط ، وانما يظهر لذاته ويصير موضوعا لشعور.[١]

((إن **الوعي دائما وعي – لشئ) و بشئ : وعي لذات ، لحضور الاشياء ، ولوجود الغير . ثم هو وعي – الذات – مع – الاخرين – في – عالم – من – الموضوعات – و – الظاهرات))** [٢] عندما يصل الكائن الى هذه الدرجة من الوعي يكون هذا الكائن هو الشخصية، والشخصية وعي نحو الشخص .

مفهوم الشخص:

إنَّ حركة التشخص ، هي التي تحدد خطوات سير الكائن ، وهي حركة متصلة او صيرورة ليست في حقيقتها **((الا نفيا في حركة دائمة ... إنها ترفض ان تنحصر الى الابد ، في هذا الشيئ او ذاك ، فهي صيرورة لا نهائية ، ووسائل التجاوز الذات بالذات))** لان الذات لا تطمئن شخصيتها الحالية ، ولا تقنع باي وجود منحصر بالحاضر . ويكون الشخص في **((ارتباط وثيق مع الشخصيات التي سبقته ، ومع الشخصيات التي اخذت بوادرها ترتسم في المستقبل))** [٣]

ترمي هذه الصيرورة الى الكمال في تصاعدها نحو الانسان. فهي تنمي الشخص الى غاية تحقيق الانسان الذي هو التفتح الكامل للانا. والتحقق الاقصى للإمكانات التي يحتويها.**((ان هناك من وراء الشخص ذي الوجود الحالي ، الانسان الذي يتوق هذا الشخص الى تحقيقيه))**[٤].

يجري التشخص في ثلاث فترات او مراحل ، تختلف حدتها على حسب كثافة الانا . ان الشخصية تعيش في اللحظة الحالية ، بينما الشخص يذهب الى اعمق من ذلك مفكرا في ذاته داخل ديمومة **))** ولا يتم التشخص الا بتدخل ذوات اخرى بالخضوع المستمر للعلاقات . فالانا هبة من الاخرين . وان افقنا الذي هو مجال تأثيرنا في الانسان وفي الكائنات الحية ، هو جو تشخصنا ، يتسع ويغتني بقدر ما نفتح شعورنا على العالم ، ونجعله في تناغم مع الشعورات الاخرى ، **((لا بد ان نعتبر المعية قاعدة للتشخص : لفرد لا يتجاوز فرديته نحو الشخص الا مع الاخرين ، فهو بطبيعته الفة وتواصل))** .[١]

((ليست الشخصية الا فترة من التشخصن تزمن الكائن البشري في الحال)) وعلى عكس ذلك. إن الشخص ، قبل كل شيء، هو الشخصية الحالية بما فيها من ماضٍ ونزوعات نحو المستقبل، هي مجموع شخصيات ، وكل واحدة منها، في ذاتها ، مشكلة لان كل شخصية من

حيث انها فترة من فترات الشخص ليست مسكن تمر به الحركة المتشخصنة، وليست بالحد الاخير. كل لحظة من حياتنا توازي النزوع الذي نعمل على تحقيقه ، اي الطاقة الحيوية لوجودنا .[٢]

ثم يضيف الحبابي: أن اللحظة هي ايضا مشكلة كما تفطنت لذلك الفلسفة (المدرسية) اللحظة موجودة وغير موجودة ، في آن واحد، فهي من هذه الوجهة تماثل النقطة في الهندسة توجد نقطة ما دمنا نتحدث وما دمنا نرسمها على الورقة وعلى السبورة ، ولا وجود لها، إذ إنها لا تخضع لأي وضع من الاوضاع . اللحظة تنطبق تماما مع الشخصية: نقول ((هذه اللحظة)) كأننا نتكلم عن موجود ولكننا عندما ننهي الكلام عنها تنعدم . فالفاصل بين الوجود والعدم غير ثابت ولا محسوس ، ولا دقيق: الماضي هو ما لم يبق ، وانه ما عد كان .[٣]

اذن الكائن ليس بالشخص ، ولكنه يصير شخصا ، فالكائن شرط حتمي للتشخص فالشخص ، وان لم يكن هو الكائن ، تتعذر امكانية وجوده بدون كائن ، فهنالك اذن ، بينهما استقلال – في – ترابط دون تطابق ، دون تعارض ، فالكائن والشخص وان اختلفا ، فانهما يتداخلان اذا الحبابي في تتابعه هذا لمفهوم الشخص وتطوره ، يتجاوز الصعوبات التي واجهها (مونييه) في تحديد هذا المفهوم فمونيه لم يدعم الشخص فمنذ نشأته الاولى بخطوط تاريخية للنشأة حيث تعمل على مساندة الشخصانية على دعائم ثابته وواضحة . كما يفعل العالم في المختبر (يصف ، يرتب ، يحدد المفاهيم) وهذا ما قصدناه بالفعل من ان الحبابي كان يقيم الحوار مع الفلسفات الاخرى لكي يأخذ منها ويتجاوزها الى مفاهيم ، حسب قوله محددة ، تلصق، واكثر ما يمكن بواقع تجاربنا .[١]

مفهوم الانسان:

ان الانسان الذي نعنيه ، هنا ليس انسان العلوم الطبيعية (اي حيوان من بين الحيوانات الثديه ، الفقرية .....) ولكنه قوة تتجاوز الككائن والشخص . انه هو الذي يفهم اللزوم ويتحمله ويتغلب عليه ليتحرر . وهذا يتطلب جهدا شاقا يستلزم اكتسابات تدريجية اي يستلزم السيطرة على الذات مما يمكن الجانب المتشخصن اي ينتصر على الجانب الحيواني كما يستلزم معرفة الطبيعة التي بواسطتها يتعالى الانا عن الموضوعات الضرورية واخيرا يستلزم هذا الجهد ، المنطق والاخلاق والابداع الفني ، اي اصنافا من النشاط الذي يجعل الانا يتواصل ويمتزج مع انا الاخرين لهذا يعتبر الحرية والتواصل والتعالي كمقولات تحدد الشخص .[٢]

اعطى الحبابي مثالا: (باستور) و (ماري كوري) كنموذجين للشخصيات التي تحققت، كامل التحقق، في الميدان العلمي وفي الفن ايضا، لا يرتفع احد الى مستوى (الانسان) الا اذا عرف كيف

يحيا ما دون هذا المستوى . ان العبقرية انفتاح و تجسيد للكون اجمع . فكبار الفنانين مثل (عمر الخيام) و (شكسبير) و (جريكو) و (رودات) يعتبرون من مشاعر تتعدى من حيث الشمول، عواطفهم الشخصية.[٣] فالإنسان هو الكائن الذي بلغ شخصيته درجة من النمو تجعله ، حينما يقوم بنشاط ما، يحقق نواتا ترمي الى ابعد من الاشياء الفردية انه يضع مصادقة بين افعاله ونواياه، وملائمة نتيجة النشاط مع النية، تستلزم، من الذات، تفهما للأوضاع وللوسائل التي يقضيها الفعل الرامي الى هدف معين. فالربط بين الاجزاء والمجموع، عمل يصدر عن وعي رابط، دينامي ، يبرز للعالم في الحين نفسه الذي يظهر فيه الكائن، ثم ينفتح وينمو مع الشخص في سيره نحو الانسان.[٤]

ويذكر الحبابي أنّ بعض الفلاسفة اعطت الاولوية للكائن مثل (هيدجر)، يقول مارتن هايدجر: إن الوجود الذي تكون طريقة وجوده هي وجود خارج ذاته (اي الوجود المنفتح Existence هو الانسان)، فالإنسان وحده هو الذي يوجد بهذا المعنى ، اما الصخور فهي موجودة ولكن على طريقة وجود الانسان ، والانسان هو وحده الذي يوجد خارج ذاته . لا تعني قط ان الانسان وحد هو الذي يوجد خارج ذاته. ولا نعني قط ان الانسان وحد هو الذي يوجد وجودا حقيقيا وان الموجودات الاخرى غير حقيقية .[١]

والبعض الاخر اولت الاهمية للشخص ٠ مثل (رونوفيه) من جهة و(مونييه) و (لاكرو) من جهة اخرى . الا ان تعريف الحبابي للانسان يبين ان الانسان هو تاليف من الكائن والشخص يقول الحبابي : ((ال((انسان)) هو ملتقى شخص والكائن ، مع زيادة ، هذه الزيادة هي التعالي الى ابعد من الكائن ، والشخص .ليس للكائن موضع خارج ثنائيات ، وتداخلات ، فهو لا يلج الواقع الانساني ، الا من جراء التشخص ، والتشخص حركة لا تكفي بالاضاءة والتغيير ، بل تقوم ايضا بعمليات تاسيسية . وبفضل هذه العمليات ، يمتنع على الكائن وعلى الشخصية ان يظهر كشيئين مطلقين ، لانهما حقيقتان تتجسمان في الشخص ، وعنه تاخذان معانيهما . انهما يمتازان بهذه المعاني التي تجعل منهما موسسين متفرقين لواقع الكائن ، اثناء تشخصه لكن ، بما ان الكائن والشخص عنصران جذريان يتكاملان ، بل يستلزم وجود احدهما وجود الاخر فانهما يتخذان معنى يشملهما معا ، ويجعل منهما فترات في حركة التشخص .[٢]

إنَّ هذا الالحاح في التمييز بين انسان وشخص، انساني وشخصي ، يعيننا لنتغلب على غموض المفاهيم كي لا نتعثر في تعريفات مثل التي اعطاها (مونييه) للوجود الشخصي : انه ((العالم الانساني للوجود)) فهذا ليس بتعريف؛ لان مونييه) يفسر ((الوجود الشخصي)) بالعالم الانساني للوجود ، نعني مجهولا بمجهول ، وبعبارة اخرى الوجود بالوجود ، اي الشيئ بذاته .[٣]

ويوجه الحبابي الاعتراض نفسه على مدلول ((الكائن)) مع انه لم يتقدم له ان عرفه ((ان لشخص ليس بكائن ، انه حركة كينونة ترمي الى الكائن ، ولا يتم قوامها الا في الكائن الذي تصبو اليه)). [١]

كما تقدم من توضيح لدلالات والمفاهيم والمصطلحات ، سيبني الحبابي شخصانيته ، وذلك من خلال تحليل الشخصانية كمذهب فلسفي تم تأسيسه ، او هو في طور التأسيس مبتدأ باتجاه (شارل رونوفي) ، ثم ينتقل الى شخصانية (مونييه) و (لاكروا) سيكون لهذين العرضين فائدة مزدودة ، سيعطي الحبابي تمهيد مجال البحث الشخصاني اولا ، وايضاح وتدقيق مواقف الشخصانية الواقعية .[٢]

الشخصانية الواقعية:

في البداية يضع الحبابي نفسه امام تحليلات للشخصانية لمذهب (رونوفيه) التي تدعي كما يقول الحبابي ((**ان الشخص فردية ، مونادية ، ولهذا نراه يعتمد على مذهب (كانت) الانتقادي ليهاجم نظرية (هيجل) التي تجعل من المجتمع البشري هرما ، قمته الدولة ، فالاشخاص في نظر رونوفي فرديون ومستقلون بعضهم عن بعض**)) .[٣]

إنّ الشخصانية رونوفيه تحكم على الشخص بالنقصان ، منذ البداية ، وبعدم القابلية للاكتمال ، فافقه محدود من حيث المعرفة ومن حيث الفعاليات كما انه لا يستطيع ان يحقق الغايات التي يصبو اليها.[٤] ويعدُّ في هذه الشخصانية أنَّ ((**كلَّ شخص عالم مغلق ، اي مونادة ، بيد ان اي ((انا)) ، كيفما كان لا يوجد الا متشخصا ، والتشخص ، في صميمه ، تواصل (...). إن الشخص طبقا لماهيته وتعريفه، ليس بمونادة ولا بشي ولا في ((ذات)) بل لاجل – الذات . ان هذه الوثبة من عالم الاشياء الى عالم الاشخاص ، هو هو ما بقي غامضا في شخصانية (رونوفييه)**)) .[١]

ان مشكلة التواصل هي اساس كل فلسفة شخصانية ، فمذهب رونوفييه اتجاه تعددي، لا شخصاني ، اذ لايكفي ان نقر بالاشخاص وبصفة[٧]عامة وما في الكون من موجودات ، يختلفون ، اصلا ، وانهم لا ينحدرون من جوهر واحد ، ليتضح لنا كيف يحصل التواصل بين لذوات الشاغرة ، ، في عالم التواجد تتواجد فيه كائنات مختلفة ، فافتراض (رونوفييه) تعدد الذوات لايحل مشكلة التواصل وتعاون كل فرد مع الاخرين داخل وحدة شخصية تتكون من مجموع ، وهكذا تظل نظرية تعدد الاشخاص ، حاجزا اكثر منها حلا. [٢]

تعدُّ الشخصانية الجديدة في فرنسا ، والمتمثلة (مونييه) و (جان لاكرو) انبعاث جديد لهذا المذهب ، انها مستوحاة من المسيحية الكاثوليكية عندهم ، فالشخصية هنا تبدو كرد فعل ضد سيطرة مجريات الحياة الحاضرة على الشخص ،هذه السيطرة التي تنمو وطأتها باستمرار، كما تبدو، في الوقت نفسه، كالة تخول المسيحيين أن يتكيفوا مع ايقاع حياة القرن العشرين، مما يجعلها تحرر الفكر من الانحطاط الجماعي، وتقي الشخص من الذوبان في عالم مجهول المعالم.[٣]

من هنا يرى الحبابي أنّ الشخصانية ترتفع الى مستوى لا يكون فيه المبحث المركزي علاقة الشخص بالإله فحسب ، بل تكون علاقة الشخص المؤمن بالذي لا يؤمن. وإنَّ الشخصانية اذن ، مفتوحة للجميع ((**ان العالم قد اصيب بخلل اوقفه عن المسير ، فالروح وحدها يمكنها ان تعيد للعالم القوة على السير ، فالعالم لا محالة سينخدع اذا هو لم يهتم بالروح ، لهذا ، تمتد ارادتنا كذالك الى عالم النشاط ، فالنشاط يكون كثافة تفكيرنا وسلطة الزمن التي تعكس ضياءها**)) [٤] فالشخص اليوم يتألم مما يعتري التشخصن من عوائق ، وانه لم يعد اي اعتبار الا لما يخضع للتقويم الكمي .

إنّ هذه الشخصانية لموناييه اعتمدت على ميدان النشاط الانساني سواء ديني او سياسي، وذلك؛ لأنها لم تهدف لدراسة الانسان فقط وانما ارادت ان تحارب من اجله بغية تقدمه في الطريق الصالح الذي ينمي كينونته ولسعادته وللعدل ، يقول (لاكرو) :- ((**اننا اذا اعتبرنا الكائن البشري ، من ناحية الوصف السيكولوجي ، راينا ان الشخص ليس في الانكماش البشري ، ولا في الانبساط المعشري ، ولكن الشخص في حالة توتر متزن بين هذين الحركتين**)) .[١] اذان كانت الاحداث السياسية – المجتمعية المعاصرة من صميم اهتمامات هذا التفكير .

يعرف (مونييه) الشخص على انه ((**حضور[١٨] في الانا**)) وهذا التعريف هو اقرب ما يكون للانا العميق الذي يتحدث عنه (برجسون) في رسالة معطيات الشعور المباشر . كما يشبة قول (كيركيجارد) بان الوجود طاقة التفكير ، ويذكر مونييه نفس السؤال ((ما هو الشخص)) – في كتاب اخر – ليجيب عنه : باننا لا نستطيع تعريفه الا سلبيا ، لان الشخص – عنده – تجسيد ، وتعالي ، وحرية ، وتواصل .[٢]

ينتقد الحبابي هذا الموقف عند مونييه: ((**نحن لا نستطيع ان نقول عن الشخص انه تجسيد او تواصل او حرية او تعال : بل انه ، قبل كل شي ، ما بواسطته يصير الانا قادرا على ان يتحرر ويتعالى ، ويتواصل مع الغير ويحقق القيم ، الحرية ليست في مستوى الكائن ، بل في درجة اعلى ، وهي درجة الشخص (...) ، ليست هنالك ((ال)) حرية ، ولكن حريات ، اي**

مجموعة نوعية من المكتسبات لا يحصل عليها اي احد الا بكفاح مسترسل))[٣]. ان مونييه حينما جعل الشخص هو التواصل ظن انه استطاع ان يمحو كل غموض بين الفرد والشخص، بحيث اذا قبل التمييز بين الشخصانية والفردية ، انعدم التناقض بين الشخص والمعشر ، وسوف لا يبقى بعد هذا، سوى التعارض بين الجمهور الغير المحدد من جهة، وبين المعاشر التي هي اشخاص جماعيون، ولكنهم اشخاص حقيقيون، فالشخص اذن هو الفرد ، وليس هو الشخصية .[٤]

إنّ مفهوم الشخصانية عند الحبابي مقترن بالوعي والحرية فهي تبدي عندما يرفض الشخص الطاقة العمياء (طاقة الاشياء وطاقة الاشخاص) ويعترف بالقيمة العليا للعقل والفكر ، والاعتراف بتلك القيمة للشخص ، ليس معناه قبول المؤاخذات او السماح لبعض العقول ان تستبد بالأخرى ، وليس هو الخضوع الاعمى الذي يفرضه مذهب من المذاهب.[١]

يرى الحبابي ان كلمة (الشخصانية) اقرب الى الصواب من كلمة (ذاتية) : (ان لفظ الشخص ينحصر في الدلالة على الانسان في حين ان كلمة ذات يشترك فيها الانسان والحيوان بل وحتى الاشياء ، نقول الرجل ذاته ، والحصان ذاته ، والورقة ذاتها .[٢]

حينما يقوم الشخصانيون بالتمييز بين الشخصية والشخص ، وخصوصا حينما يظهرون معارضة بين فرد وشخص ، انما يلتجأون الى استعمل ثنائية في الميتافيزيقا كانت من (افلاطون) الذي فرق بين عالم المثل وعالم المحسوسات ، واستعملها (كانت) بكيفية اخرى عندما عرض بين ((النومين)) والظاهرة . كما توجد في مذهب (برجسون) الذي يفرق بين الانا العميق والانا السطحي . وبين ذاكرتين وبين الاخلاقية المغلوقة والاخلاقية المفتوحة .[٣]

يظهر مما تقدم انه من الممكن التغلب على الايهامات والمعارضات والثنائيات التي تصادم الشخصانية في تحليلاتها ، اذ يكفي ان نعتبر التشخصن ، كما شرحناه سابقا ، متكونا من فترات هي الشخصيات ، اي انماطا لكينونة الشخص (والشخص ، كما عرفناه ، لا يقف عند حد، لأنَّ الصيرورة تنمية بلا انقطاع) . اننا ان فهمنا التشخصن ، هكذا ، تجنبنا الثنائية ، والتقييمات المصطنعة ، واستطعنا ، – حسب قول الحبابي – ان ننسق وان نوقف بالنسبة الى التشخصن كل الشخصيات والكائن في اتصالهم النسبي والديالكتيكي بصفتهم ((صائرين)) [٤].

إنّ فكرة التشخصن تخولنا الخروج من مازق (الظاهر والمخفي) وثنائيات الفكر والنظر ، ان الثنائيات شيء واقعي ، فهي من صفات كل شخصية ، ومن صفات محللة الاشخاص ، طبقا لجدلية الصراع والتكامل . فالتشخصن يكتسب فائدة هامة ممالة من التباس ، فهو يشارك في حركة تفردن الكائن البشري ، وفي الحركة التي ترفعه الى ابعد من الفرد ، ومن جميع الافراد . ان الافراد

والاشخاص يسيرون نحو كمال اعلى ، فهم في تجاوز مستمر . فالتقدم يكشف ، دائما وبغير انقطاع ، نقصانه ونسبيته ، ولكنه منجذب بقوة دينامية ، ليغزو الجانب الانساني في امتلائه واكتماله .[١]

اذاً؛ فالتشخصن هنا ، يخول لنا التفكير بتعادل دون الالتجاء الى الغيبيات ، فهي حركة تلتم بفضلها الميتافيزيقا بالاخلاقية التاما يحقق الانا في تفتحه الكامل ، وان التشخصن حركة في صيرورة ترسى الى ابعد حد ، دون ان يكون ابدا قوة عمياء ، وبصفته حركة داعية فهو قبل كل شيء لاصق بالواقع دونما انقطاع ، يغيره تفاعلات الجذب والدفع ، بيد ان التشخصن يختلف كليا من الحركات الطبيعية الالية : انه حركه خارقة واعية لفاعليتها في تقدمها التصاعدي ، فالذات لا تطمئن الى شخصيتها الخالية ، ولا تقتنع باي وجود منحصر من الحاضر . لان شيئا اكبر من وجودها الحاضر يجذبها ويبهرها بممكنات وجود ملئ ، فالتعالي توتر باطني يدفع الى تحقيق الممكنات التي تتمرد وتلح فا ان تحقق الوجود . انه حركة نحو الكائن ان يركز الغاية في ذاته ، وهذا الغاية تمتزج ، في المرحلة الاخيرة مع التشخصن ، مع اهداف الانسانية جمعا .[٢]

يقول الحبابي ((**ان التشخصن كما نتصور ، في هذا الكتاب ، نظرية تاخذ مكانها في ملتقى الاتجاهات الكبرى للتفكير الفلسفي المعاصر ، فالشخصن حركة توحيدية ، ترمي الى الكل الشامل ، اي انها سليسلة من انواع النشاط ، كل واحد منها ، كالديمومة عند (برجسون) تظم فيها جميع الاونة ، وتتقلص لتندمج في المجموع**)) [٣]

الخاتمة:

نشا الموقف الفلسفي لدى الحبابي وهو في الموقع الاصلي لتلك الفلسفة في فرنسا بصفة خاصة، وهو في الخمسينات من القرن العشرين ، وهو الزمن الذي جاء بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وما عاشت فيه الانسانية في اوربا بصفة خاصة من عواقب هاتين الحربين المدمرتين . هذا الواقع وجه الفكر والفلسفة نحو الانسان ومعاناته ووجوده ومصيره ، فظهرت عدة اتجاهات فلسفية تهتم بالإنسان مثل الوجودية – الشخصانية – البرغسونية – الماركسية –وفلسفة برانشفيك وباشلار.

كل هذا المزيج الفلسفي تجد له تأثيرًا في فلسفة الحبابي ، فتراه هنا وهناك في كتبه يتحاور مع الفلاسفة وذلك ليتجاوز المفاهيم التي قالوا بها لبناء مفهوم اعمق واكمل . من اهم هذه الفلسفات هي فلسفة مونييه الشخصانية ، فهنالك من يضع الحبابي في خانة النسخ والنقل لمفاهيم هذه الفلسفة ، ولكن المامل لفلسفة الحبابي يعترف له بالابتكار الفكري والتجديد الفلسفي ، ففلسفته عكست هموم المفكر التواق لا الى الحرية بل التى التحرر ، ولا الى الكينونة بل الى التشخصن ،

وهذا ما وجدناه واضح من خلال عرضنا لتحليلات الحبابي للشخصانية عند الفلاسفة (رونوفيه – مونييه – لاكرو).

إنّ فالشخصانية هي لحظة من لحظات بناء وتأسيس فلسفة الحبابي وذلك نحو بناء افكار وفلسفات جديدة تهم الانسان الشرقي وهمومه وهذا واضح من خلال كتاباته حول الشخصانية الاسلامية والفلسفة العذبة (فلسفة العالم الثالث).

الهوامش:

---

[١] ويكبيديا ، الموسوعة الحرة

[٢] ينظر ، الداوي ، عبد الرزاق، البحث حول ((جدلي الفكر والتفاؤل في الفكر الفلسفي عند الحبابي))، الندوة الفلسفية العربية الاولى ، من ١٢ تموز الى ١٤ تموز ١٩٩٤ ، الاردن ، ص ١٢

[٣] المصدر نفسه ، ص ٥

[١] المصدر نفسه ، ص ٤

(٢) ينظر الحبابي الانسان والاعمال ، البيضاء ، مطبعة النجاح ، ١٩٩١ ، ص ١٧٦

(٣) ينظر الحبابي ، محمد عزيز ، الانسان والاعمال ، ض ١٨٢

(١) يراجع الحبابي ، محمد عزيز ، من الحريات الى التحرر ، دار المعارف – مصر ، ١٩٦٢ ، ص (١٩–٢٩—٦٠—٧٨–٨٩)

[٢] المصدر نفسه ، ص ٥٥

[٣] ينظر بفوت ، د. سالم : الهاجس الثاني في فلسفة محمد عزيز الحبابي ، بحوث المؤتمر الفلسفي الاول الذي نظمته الجامعة الاردنية (الفلسفة في الوطن العربي المعاصر) مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧ ، ص ٢٧٨

[١] الشخصانية كمصطلح هي ((ان الفرد هو القيمة المطلقة والاسمى والعنصر الروحي للوجود ، وان مصلحته فوق مصلحة الجماعة علما بانها تتالف من الافراد)) مغنية ، محمد جواد : مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات ، دار الهلال ، لبنان . ص ٢١٣ اما الشخصانية كمذهب اتخذت الشخصانية اسماء مختلفة في عصور مختلفة مثل الارادية ، فلسفة الحرية ، فلسفة الجهد ، فلسفة الاحتمال ، فلسفة الاستمرار ، فلسفة التجريبية المتعالية ، والمثالية الشخصية والانسانية ، والحيوية والفاعلية والواقعية والظاهر ان اسم الفلسفة السخصانية هو الذي قدر له ان يكون اشيع هذه الاسماء وان يطلق على شتى الانماط ينظر رونز ، د . جوبرت : فلسفة القرن العشرين ، ترجمة عثمان نويه ، مراجعة د. زكي نجيب محمود ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ص٩٧.

[٢] النصيري ، احمد علي ، بن علي : الانسان في فلسفة الحبابي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ،١٩٥٢ ص ٢٠

[٣] يراجع الحبابي ، محمد عزيز : من الكائن الى الشخص ، ص (١٢٢)

[١] المصدرالسابق، ص ١٢٣

[٢] ينظرمونيه ، عمانوئيل : هذه هي الشخصانية ،ترجمة محمود جمول، مطيعة قلفاط ، بيروت (بلا) ، ص ٤٣

[٣] النصيري ، احمد، ص ٢٤

[٤] المصدر نفسه ، ص ٤٣

[١] الحبابي ، من الكائن الى الشخص ، ص ١١

[١] الحبابي ، من الكائن الى الشخص ، ص ١١

[٢] المصدر نفسه ، ص ١٦

[٣] المصدر نفسه ، ص ٢٣

[٤][١] المصدر نفسه ، ص ١٢–١٣

[٥] المصدر نفسه ، ص ١٢–١٣

[٦] المصدر نفسه ، ص ١٣

[١] المصدر السابق ، ص ١٣

[٢] المصدر نفسه ، ص ١٣

[٣] ينظر الطاهر وعزيز ،: من الحب الى التشخص في الشخصانية الواقعية ، دراسات مغربية مهداة الى المفكر محمد عزيز الحبابي ، دار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ ، ص ٩

[٤] ينظر الحبابي ، من الكائن الى الشخص ، ص ١٥

[١] ينظر الطاهر وعزيز : من الحب الى التشخص ، ص ١٠

[٢] ينظر الحبابي ، من الواقع الى الغدية مجلة المناظرة المغربية ، العدد الثاني ، ١٩٨٩ ، ص ٢٤

[٣] المصدر نفسه ، ص ٢٥

[١] ينظر الحبابي ، من الكائن الى الشخص ، ص ١٠

[٢] النصيري ، احمد : الانسان في فلسفة الحبابي ، ص ٥٩

[٣] المصدر نفسه ، ص ٦٠

[٤] المصدر نفسه ، ص ٦٨

[١] ينظر جون ماكوري : الوجودية ، سلسلة علام المعرفة ، العدد ٥٨ ، الكويت ، ١٩٨٢ ، ص ٣٥

[٢] ينظر الحبابي ، من الكائن الى الشخص ، ص ٨٣

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٠٠

[١] المصدر السابق ، ص ١٠٠

[٢] المصدر نفسه ، ص ١٠٠

[٣] المصدر نفسه ، ص ١١٥

[٤] المصدر نفسه ، ص ١١٢

[١] المصدر السابق ، ص ١١٨

[٢] المصدر نفسه ، ص ١١٧

[٣] ينظر الحبابي . من الحريات الى التحرر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢، ص ١٨

[٤] ينظر الحبابي . من الكائن الى الشخص ، ص ١٢٢

[١] المصدر السابق ، ص ١٢٣

[٢] المصدر نفسه ، ص ١٢٧

[٣] ينظر الحبابي . من الحريات الى التحرر ، ص ١٧٥

[٤] ينظر الحبابي . من الكائن الى الشخص ، ص ١٢٩

[١] ينظر الحبابي : الشخصانية الاسلامية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩ ، ص ١٢

[٢] المصدر نفسه ، ص ٢٢

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٢٩

[٤] المصدر نفسه ، ص ١٣١

[١] ينظر الحبابي . من الكائن الى الشخص ، ص ١٤٢

[٢] ينظر ، النصيري ، ص ٥١

[٣] ينظر الحبابي . من الكائن الى الشخص ، ص ١٤٦

Personalism realism when Muhammad Aziz Habbabi

M.M. Kifah Ali Osman

University of Baghdad /College Of Sciense For Women

Department Of Philosophy

Abstract:

Mohammed Aziz Habbabi occupies an important place in contemporary Arab thought, but even in Western thought, because of its posts and other European languages, especially French varied interests of this thinker of poetry and literature and the language and the philosophy and policy.

This research was limited to personalism realism with him because it represents a starting point the task of philosophical ideas included the most individualistic concepts and connotations and terms that work on Habbabi.
Dealt with in the first section personalism is not a new innovation start with Vilsova it is a doctrine or the doctrine as a term and a clear and precise appeared with the French philosopher (Ronovah) and then (Monnier and Acrow).

The second topic was the most important concepts to ensure understanding of personalism when Habbabi an object and a person's rights in addition to the display realism personalism.Through the presentation of analysis and criticism Habbabi to the outskirts of this philosophy.

We find a philosophical mix of philosophical trends bother humans, such as existential - personalism - Alergsonah - Marxist influenced the philosophy Habbabi Fterah here and there in his books and interviews philosophers to exceed the concepts that they said it to build a deeper and fuller concept.

The most important of these philosophies is the philosophy Monnier personalism there are those who put Habbabi in the product box and transport of the concepts of this philosophy, but the meditator philosophy Habbabi admits his new philosophical innovation intellectual, his philosophy reflected the concerns of wishful thinker, not only freedom, but to be free and not to being but to Alch_khasn.

So personalism is a moment of the building and the founding philosophy Habbabi and then towards building ideas and new philosophies of interest to the east and human concerns.